

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ السَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ]

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]

بَيَانُ مَعْنَى التَّجَلِّيِّ

فَقَدْ قَالَ الْعَلَامَةُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنْظُومَتِهِ الْحَاثِيَّةِ:
 وَقُلْ: يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى، وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
 «يَتَجَلَّى اللهُ»: التَّجَلَّى مَعْنَاهُ: الظُّهُورُ لِلْعَيَانِ، وَتَجَلَّى الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: ظُهُورُهُ
 لِلْعَيَانِ، فَتَرَاهُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَةً لَا لَبْسَ فِيهَا.
 «جَهْرَةً» عَيَانًا غَيْرَ مُسْتَتَرٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ذَاكِرًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلْنَا
 جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

«كَمَا الْبَدْرُ»: الْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَالْمُرَادُ: تَشْبِيهُ رُؤْيَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُهُولَةٍ
 وَيُسْرٍ بِرُؤْيَتِهِمْ لِلْبَدْرِ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، فَهُوَ تَشْبِيهُ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرْيِ بِالْمَرْيِ.
 انْتَقَلَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْقُرْآنِ، وَصِفَةِ الْقُرْآنِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا إِلَى الْكَلَامِ
 عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى بِالْأَبْصَارِ عَيَانًا.

وَقُلْ يَا عَبْدَ اللهِ مُعْتَقِدًا مِنْ قَلْبِكَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُرَى بِالْأَبْصَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، كَمَا تَرَى الْقَمَرَ كَالْبَدْرِ فِي السَّمَاءِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ بِسُهُولَةٍ
 وَيُسْرٍ، بَلْ رُؤْيَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْضَحُ مِنْ ذَلِكَ.

وَرُؤْيَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هِيَ النَّعِيمُ الْأَكْبَرُ؛ فَأَفْضَلُ مَا فِي الْجَنَّةِ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى،
وَلَنْ يَنَالَ هَذِهِ الْكَرَامَةُ وَالْمِنَّةُ إِلَّا الْمُحْسِنُونَ الَّذِينَ صَدَقُوا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.



مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

أَدِلَّةُ ثُبُوتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَقَدْ ثَبَتَتْ رُؤْيَةُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ ۚ﴾ [١٥] ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿المطففين: ١٥-١٦﴾. فَلَمَّا حُجِبَ الْكُفَّارُ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ تَعَالَى.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الزِّيَادَةَ هُنَا بِرُؤْيَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَمِنَ السُّنَّةِ: مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ».

وَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» -أَيْضًا- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءُ الْكِبَرِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ».

وَكَذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا».

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ: فَقَدْ قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ بِهِ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَهُوَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَهُ عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَقَالَ الدَّارِمِيُّ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ: «فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا، وَأَكْثَرُ مِنْهَا قَدْ رُوِيَ فِي الرُّؤْيَةِ، وَعَلَى تَصَدِيقِهَا وَالْإِيمَانِ بِهَا أَدْرَكْنَا أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْبَصَرِ مِنْ مَشَائِخِنَا، وَلَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَرَوْنَهَا، وَيُؤْمِنُونَ بِهَا وَلَا يَسْتَنْكِرُونَهَا، وَلَا يُنْكِرُونَهَا، وَمَنْ أَنْكَرَهَا مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ نَسَبُوهُ إِلَى الضَّلَالِ، بَلْ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ رَجَائِهِمْ، وَأَجْزَلَ ثَوَابِ اللَّهِ فِي أَنْفُسِهِمُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ خَالِقِهِمْ حَتَّى مَا يَعْدِلُونَ بِهِ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ».

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً»: كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: فَتَدْعَى الْأُمَمُ بِأَوثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْتَظِرُونَ؟ أَوْ مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَتَشْبِيهُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللهُ رُؤْيَا اللهِ بِرُؤْيَا الْقَمَرِ مُرَادُهُ سُهُولَةُ الرُّؤْيَا وَوُضُوحُهَا،
وَلَيْسَ تَشْبِيهُ الْقَمَرِ بِاللَّهِ ﷻ تَشْبِيهُ الْمِثْلِ بِالْمِثْلِ، مِثَالُهُ مَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى
صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»؛ فَلَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَجُوهَهُمْ
كَحِجَارَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ أَنَّ وَجُوهَهُمْ مُصَيَّتَةٌ كَالْقَمَرِ.

التَّشْبِيهُ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا تَشْبِيهُ الرُّؤْيَا بِالرُّؤْيَا لَيْسَ بِتَشْبِيهِ الْمَرْئِي
بِالْمَرْئِي.

الْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ حَقًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَحْشَرِ، وَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا
الْمُنَافِقُونَ فَيَرَوْنَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْمَحْشَرِ، ثُمَّ لَا يَرَوْنَهُ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي اللَّامِيَّةِ:

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي رُؤْيَا اللهِ تَعَالَى فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ: هَلْ هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ
خَاصَّةً، أَوْ هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَجَمِيعِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ؟

ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى أَنَّ الرُّؤْيَا عَامَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
وَعَيْرِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ، وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ؛ تَدُلُّ عَلَيْهِ عُمُومُ أَدْلَةِ اللَّقَاءِ.

وَذَهَبَ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّ الرُّوْيَةَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الْإِيمَانَ فِي الدُّنْيَا كَالْمُنَافِقِينَ.

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الرُّوْيَةَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.
وَكُلُّهَا أَقْوَالٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ لَا يُبَدَّعُ الْمُخَالَفُ فِيهَا، وَلَكِنْ يُبَدَّعُ مَنْ أَنْكَرَ الرُّوْيَةَ أَصْلًا.

الْأَدَلَّةُ عَلَى إِبْطَالِ الرُّوْيَةِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَمِنْهَا مَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِجْمَاعُ أَهْلِ السُّنَّةِ مُنْعَقِدٌ عَلَى رُوْيَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآخِرَةِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]؛ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا، أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ»، وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: «ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]».

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ». وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَشَبَّهَ الرُّؤْيَا بِالرُّؤْيَا لَا الْمَرِيَّ بِالْمَرِيَّ، وَبِهَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ اسْتَدَلَّ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرَى فِي الْعُلُوِّ، خِلَافًا لِلْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يُرَى لَا فِي جِهَةٍ، وَهَذَا غَايَةُ التَّنَاقُضِ؛ فَإِنَّ الْمَرِيَّ لَا بُدَّ أَنْ يُرَى فِي الْعُلُوِّ أَوْ فِي السُّفْلِ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ السُّفْلِ.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]؛ لَمَّا عُدِّي النَّظَرُ بِ(إِلَى) دَلَّ عَلَى النَّظَرِ الْحَقِيقِيِّ.

قَوْلُهُ ﷺ: «دَلَّ عَلَى النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

إِذِنْ؛ النَّاطِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَنْ مَسْأَلَةِ رُؤْيَا اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: هَلِ الْخَلْقُ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى أَوْ لَا يَرَوْنَهُ؟

الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزَلَةُ: كُلُّهُمْ يَنْفَوْنَ الرُّؤْيَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى. يَقُولُونَ: لِأَنَّ الرُّؤْيَا لِلْأَجْسَامِ! وَيَقُولُونَ: اللَّهُ غَيْرُ جِسْمٍ؛ فَهُوَ لَا يُرَى. فَيَنْفَوْنَ الرُّؤْيَا بَتَاتًا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

هُنَاكَ قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَهَذَا قَوْلُ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ - وَهُوَ الْقَوْلُ الْحَقُّ -: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ رَوَى أَحَادِيثَ الرُّوْيَةِ نَحْوُ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا، وَمَنْ أَحَاطَ بِتِلْكَ الْأَحَادِيثِ مَعْرِفَةً، قَطَعَ بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَهَا، وَالْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الدَّالَّةُ عَلَى الرُّوْيَةِ مُتَوَاتِرَةً، رَوَاهَا أَصْحَابُ الصَّحاحِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: يُرَى رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْآخِرَةِ، يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى، وَلَمَّا طَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا قَالَ: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فَالْجَبَلُ الصُّلْبُ صَارَ تَرَابًا مَذْكُوكًا مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ ﷻ، فَلَمْ يَتَحَمَّلْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رُؤْيَا الْمُتَجَلَّى عَلَيْهِ، فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُ رُؤْيَا الْمُتَجَلَّى؟ وَكَيْفَ يُطِيقُ الْإِدْمِي رُؤْيَا اللَّهِ ﷻ؟

هَذَا فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي أَهْلَ الْجَنَّةِ قُوَّةً يَسْتَطِيعُونَ بِهَا أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ ﷻ إِكْرَامًا لَهُمْ، لَمَّا آمَنُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَرَوْهُ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ ﷻ فَتَجَلَّى لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ لِيَتَلَذَّذُوا بِرُؤْيَتِهِ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ.

فَأُمُورُ الْآخِرَةِ لَيْسَتْ كَأُمُورِ الدُّنْيَا؛ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا إِذَا تَعَرَّضَ لِلشَّمْسِ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ أُصِيبَ بِالْمَرَضِ، وَرُبَّمَا هَلَكَ.

فِي الْآخِرَةِ تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الرَّءُوسِ بِمِقْدَارِ مِيلٍ، قِيلَ: هُوَ الْمِقْدَارُ الْمَقْدَرُ بِالْمِيلِ الْجَرَّاحِيِّ، أَوْ بِمَا يُؤْخَذُ بِهِ الْكُحْلُ مِنَ الْمَكْحَلَةِ؛ لِيُجْعَلَ فِي الْأَعْيُنِ، فَهَذَا هُوَ الْمِيلُ، أَوِ الْمِسْبَارُ الْجَرَّاحِيُّ، أَوْ هُوَ الْمِيلُ الْمَسَافِيُّ وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ.

فَالشَّمْسُ تَدْنُو مِنَ الرَّءُوسِ، وَلَا يَنْصَهُرُ النَّاسُ وَلَا يَحْتَرِقُونَ، وَيَتَحَمَّلُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ قَانُونَ الْآخِرَةِ لَا كَقَانُونِ الدُّنْيَا، فَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَا اللَّهِ، وَلَوْ كَانَ الْكَلِيمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْقَانُونَ يَخْتَلِفُ؛ فَيَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرَوْا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِكْرَامًا لَهُمْ.

أَمَّا الْكُفَّارُ فَلَمَّا لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ فِي الدُّنْيَا حَبَبَهُمُ اللَّهُ عَنْ رُؤْيِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

فَإِذَا كَانَ الْكُفَّارُ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَا اللَّهِ ﷻ فَهَذَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُحْجَبُونَ عَنْ رُؤْيَا رَبِّهِمْ، وَإِلَّا مَا كَانَتْ هُنَاكَ فَائِدَةٌ فِي ذِكْرِ حَجَبِ الْكُفَّارِ عَنْ رُؤْيَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ الْكُفَّارُ وَالْمُؤْمِنُونَ سَوَاءً فِي الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَرَّقَ بَيْنَهُمْ وَأَكْرَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَتَجَلَّى لَهُمْ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ فَيَرُونَهُ عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ، لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيِيهِ، وَلَا يَتَضَامُونَ -يَعْنِي: لَا يَتَزَاحَمُونَ لِرُؤْيِيهِ- بَلْ يَرُونَهُ عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ، وَلَا يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يُضَامُونَ فِي رُؤْيِيهِ جَلَّ وَعَلَا

كَمَا يَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرُ، وَهَذَا تَشْبِيهُ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرِيِّ بِالْمَرِيِّ هَذَا مُهِمٌّ.

هَذِهِ الْعِبَارَةُ مُهِمَّةٌ: تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، لَا الْمَرِيِّ بِالْمَرِيِّ، كَمَا صَحَّتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ ﷻ؛ لِذَلِكَ قَالَ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَنْظُومَةِ مُفَرَّرًا عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى:

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى، وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شَبَهٌ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ
وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمُصَدَّقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

فَفِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ قَرَّرَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالرُّؤْيَةَ حَقٌّ دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ كَمَا مَرَّ، وَلَا يُنْكِرُ الرُّؤْيَةَ إِلَّا الْجَهْمِيَّةُ الضَّلَالُ وَمَنْ تَأَثَّرَ بِهِمْ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَةَ اللَّهِ حَرِيٌّ أَنْ يُحْرَمَ مِنْهَا.

وَقُلْ: يَتَجَلَّى: قُلْ: الْخُطَابُ مُوجَّهٌ لِصَاحِبِ السُّنَّةِ، وَمَنْ يُرِيدُ اتِّبَاعَ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَزُومَ أَمْرِهِ، وَاقْتِفَاءَ أَثَرِهِ، أَمَّا صَاحِبُ الْهَوَى وَالزَّيْغِ وَالْآرَاءِ وَالْمَنْطِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقِيمُ لِلْسُّنَّةِ وَزْنَ، وَلَا يَرْفَعُ بِهَا رَأْسًا، وَلَا يَعْبَأُ بِهَا أَصْلًا.

قُلْ يَا صَاحِبَ السُّنَّةِ غَيْرِ مُتَرَدِّدٍ وَلَا شَاكٍّ: يَتَجَلَّى...

التَّجَلَّى: الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ، أَي: يَظْهَرُ اللَّهُ لِلْخَلْقِ، وَالْمُرَادُ بِالْخَلْقِ: الْمُؤْمِنُونَ؛ فَهُمْ الَّذِينَ يُنْعِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرُؤْيَيْهِ، وَيُكْرِمُهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، بَلْ إِنَّ رُؤْيَيْهِمْ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَجَلَ مَقَاصِدِهِمْ، وَأَعْظَمُ غَايَتِهِمْ وَأَهْدَافِهِمْ، وَمِنْ دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ» كَمَا فِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ مَرَّ، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَمَّا الْكُفَّارُ فَلَا يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. فَلَمَّا حُجِبَ الْكُفَّارُ عَنْ رُؤْيَيْهِ تَعَالَى - كَنُوعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُقُوبَةِ - مَكَّنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا، وَهِيَ أَجَلُ هَبَةٍ وَأَعْظَمُ عَطِيَّةٍ جَهَرَةً عِيَانًا جَهَارًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ مَا يَحْجُبُهُمْ عَنْهُ.

كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى، الْبَدْرُ: الْقَمَرُ لَيْلَةَ الرَّابِعِ عَشَرَ عِنْدَمَا يَمْتَلِئُ نُورًا، وَعِنْدَمَا لَا يَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَحَابٌ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ جَمِيعًا، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَضَامٍّ، وَلَا تَزَاحِمٍ لِرُؤْيَيْهِ شَأْنَ الْأَشْيَاءِ الدَّقِيقَةِ الْخَفِيَّةِ، كَذَلِكَ لَا يَتَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، وَلَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ ضَرَرٌ فِي رُؤْيَيْهِ فَلَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، كُلُّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ أَنَّ الرُّؤْيَا تَكُونُ حَقِيقَةً وَبَيَسْرٍ وَسُهولةٍ وَوُضُوحٍ.

فَإِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَرَاهُمَا النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ رُؤْيَا حَقِيقَةً دُونَ عَنَتٍ أَوْ مَشَقَّةٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ - كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ -: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ».

الْكَافُ: لِلتَّشْبِيهِ لَكِنْ لَيْسَ لِتَشْبِيهِ الرَّبِّ تَعَالَى بِالْقَمَرِ أَوْ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا التَّشْبِيهِ هُنَا لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرِئِيِّ بِالْمَرِئِيِّ؛ لِأَنَّ الْكَافَ دَخَلَتْ عَلَى الرُّؤْيَةِ وَهِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ، فَالتَّشْبِيهِ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، وَلَيْسَ لِلْمَرِئِيِّ بِالْمَرِئِيِّ، كَمَا أَنَّ رُؤْيَةَ الْقَمَرِ تَكُونُ لِلنَّاسِ حَقِيقَةً عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ، فَكَذَلِكَ رُؤْيَةُ اللَّهِ تَكُونُ حَقِيقَةً عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ، فَالْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ.

كَمَا: وَ(مَا) زَائِدَةٌ أَيْ: كَالْبَدْرِ.

وَرَبُّكَ أَوْضَحُ: الْقَمَرُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعَ ذَلِكَ يَرَاهُ النَّاسُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَيْنًا بِدُونِ ضَيْمٍ وَضَرَرٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَكَيْفَ بِالرَّبِّ الْخَالِقِ تَعَالَى؟! فَإِنَّهُ أَوْضَحُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، سَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِأَبْصَارِهِمْ عَيْنًا عَلَى الْحَقِيقَةِ.

وَرَبُّكَ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُ بِهَذَا النِّظْمِ، وَهُوَ رَبُّ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ رَبَّاهُمْ بِنِعْمِهِ، لَا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ، وَلَا خَالِقَ لَهُمْ غَيْرُهُ.

وَرُبُوبِيَّتُهُ تَعَالَى لِخَلْقِهِ نَوْعَانِ: عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ.

فَأَمَّا الْعَامَّةُ: فَبِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِنْعَامِ وَالصِّحَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ عَامَّةٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

وَأَمَّا الرُّبُوبِيَّةُ الْخَاصَّةُ: فَهِيَ التَّرْبِيَّةُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ وَالطَّاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِلْعِبَادَةِ، وَهَذِهِ مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحِ

هَذَا الْبَيْتُ ذَكَرَهُ النَّازِمُ بَعْدَ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِيُبينَ بِهِ أَنَّ إِثْبَاتَ الرُّؤْيَةِ حَقِيقَةٌ لَا يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهَ اللَّهِ بِالْمَوْلُودِ أَوْ بِالْوَلَدِ، وَلَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ يَلِيقُ بِاللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ، وَالْإِضَافَةُ تَقْتَضِي التَّخْصِيسَ؛ فَالْصِّفَةُ الَّتِي تُضَافُ إِلَى اللَّهِ لَيْسَتْ كَالْصِّفَةِ الَّتِي تُضَافُ إِلَى الْمَخْلُوقِ، فَعِنْدَمَا تُضَافُ الصِّفَةُ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهَا تَلِيقُ بِكَمَالِ اللَّهِ، وَإِذَا أُضِيفَتْ إِلَى الْمَخْلُوقِ فَإِنَّهَا تَلِيقُ بِضَعْفِ الْمَخْلُوقِ وَنَقْصِهِ وَعَجْزِهِ، وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ مَقَالَه التَّعْطِيلَ أَسَاسُهَا التَّمْثِيلُ.

فَالْمُعْطَلُ بَلَغَ دَرَجَةَ التَّعْطِيلِ لَمَّا مَثَلَ أَوَّلًا، فَلَمْ يَفْهَمْ مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي أُضِيفَتْ إِلَى اللَّهِ إِلَّا عَيْنَ الصِّفَةِ الَّتِي يَعْلَمُهَا مِنَ الْمَخْلُوقِ، فَكُلُّ مُعْطَلٍ سَائِرٌ تَحْتَ هَذَا الْوَهْمِ الْفَاسِدِ كَمَا قَالَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ يَصِفُ الْمُتَكَلِّمِينَ: «أُنَاسٌ مَضَوْا تَحْتَ التَّوَهُّمِ؛ يَظُنُّونَ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ وَرَاءَهُمْ». هَذَا ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ عَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّوَحِيدِيِّ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي حَيَّانَ يَعْنِي وَجَّهَ الْخُطَابِ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ هَذَا الْقَوْلَ عَنْهُ: وَأَنْتَ حَامِلٌ لَوَائِهِمْ!

يَقُولُونَ: لَوْ أَثْبَتْنَا رُؤْيَا اللَّهِ حَقِيقَةً لَأَثْبَتْنَا لَهُ الْجِسْمِيَّةَ، وَلَشَبَّهْنَاهُ بِالْمَخْلُوقِ الْحَادِثِ؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَا لَا تَقَعُ إِلَّا عَلَى ذِي جِسْمٍ هَذَا قِيَاسٌ فَاسِدٌ؛ حَيْثُ قَاسُوا اللَّهَ بِالْمَخْلُوقِ.

لِهَذَا قَالَ السَّلَفُ: لَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ.

فَالنَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ جَاءَ بِهَذَا الْبَيْتِ؛ لِإِزِيلِ التَّوَهُّمِ الَّذِي قَدْ يَأْتِي، وَهَذَا التَّوَهُّمُ جَاءَ بِهِ الْجَهْمِيَّةُ، وَأَمَّا قَبْلَهُمْ فَلَا وَهُمْ؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَخْطُرْ بِأَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ مُنْزَهُونَ، هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُسْتَدٌّ لَا مِنْ عَقْلِ وَلَا مِنْ فِكْرٍ، وَلَا مِنْ شَرْعٍ وَلَا نَقْلِ.

يَعْنِي لَمَّا نَفَوْا صِفَةَ الْكَلَامِ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعِلَّةٍ عَجِيبَةٍ، قَالُوا: لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِلِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ وَحَنْجَرَةٍ وَأَسْنَانٍ، فَيَقَالُ: سُبْحَانَ اللَّهِ!! هَلْ تُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ؟

فَإِذَا قَالُوا: نَعَمْ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ.

نَقُولُ لَهُمْ: فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الْأَرْضَ سَتَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، فَهَلْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ ﷻ لِلْأَرْضِ فَمًا وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَحَنْجَرَةً وَأَسْنَانًا؟ سَتَكَلَّمُ الْأَرْضُ.

إِذَا قَالُوا: سَتَكَلَّمُ كَلَامًا غَيْرَ حَقِيقِيٍّ يَعْنِي تَدُلُّ بِهَيْئَتِهَا عَنْ مَا وَقَعَ فِيهَا فَيَقَالُ: هَذَا مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ بِهِ؟ هِيَ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، سَتَكَلَّمُ، سَتَحَدِّثُ!

بَلْ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا سَتَنْطِقُ أَبْشَارُكُمْ أَفْخَاذُكُمْ وَأَذْرُعُكُمْ وَسَائِرُ أَعْضَائِكُمْ؛ سَيَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى الْأَفْوَاهِ، وَتَنْطِقُ الْأَعْضَاءُ، هَلْ إِذَا شَهِدَ الْفَخْدُ يُنْشِئُ اللَّهُ فِيهِ فَمًا وَأَسْنَانًا وَشَفَتَيْنِ وَحَنْجَرَةً وَلِسَانًا؟ أَوْ سَيَنْطِقُ؟

سَيُنْطِقُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ حَقِيقِيٍّ.

فَهَذِهِ جَمَادَاتٌ غَيْرُ نَاطِقَةٍ كَالْأَرْضِ، هَذِهِ أَعْضَاؤُكُمْ تَشْهَدُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكَلَامٍ يُسْمَعُ، وَقَدْ خُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِكُمْ، ثُمَّ يُزَالُ الْخَتَمُ عَنْهَا، وَيَحْمِلُ الْوَاحِدُ مِنْكُمْ عَلَى أَعْضَائِهِ الَّتِي شَهِدَتْ عَلَيْهِ، يَقُولُ: وَيَحْكُنَّ عَنْكُمْ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ!

فَتَقُولُ الْأَعْضَاءُ: أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ.

فَهَذِهِ تَنْطِقُ مِنْ غَيْرِ لِسَانٍ وَلَا فَمٍ وَلَا أَسْنَانٍ وَلَا شَفَتَيْنِ.

فَإِذَا قَالُوا: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ أَشَبَّهُ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ....

هُرَاءٌ.. مَزَقُوا الْأُمَّةَ، وَشَتَّتُوا صُفُوفَهَا، وَأَفْسَدُوا الْعَقِيدَةَ، وَقَبْلَ هَذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْوَهْمِ، كَمَا يَتَكَلَّمُونَ عَنِ الرُّؤْيَا؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ وَالْآيَاتِ أَثْبَتَتْ ذَلِكَ «سَتَرُونَ رَبَّكُمْ» يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ شَيْئًا مَعَ الْحَدِيثِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَعَ ذَلِكَ يَذْهَبُونَ إِلَى التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ، وَقَبْلَهُمُ الصَّحَابَةُ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَالتَّابِعُونَ حَتَّى ظَهَرَتْ وَنَجَمَتْ أَمْثَالُ هَذِهِ الْبِدْعِ.

اللَّهُ ﷻ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقِيقَةً بِالْأَبْصَارِ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ، وَلَيْسَ بِوَالِدٍ أَيْ: لَمْ يَتَفَرَّغْ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَتَفَرَّغْ عَنْهُ غَيْرُهُ، وَهَذَا مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ٢٠ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٢١﴾ [الإخلاص ٣-٤].

وَلَيْسَ لَهُ شَبَّهُ أَيُّ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، -وَالشَّبَّهُ هُوَ الْمَثِيلُ وَالنَّظِيرُ- اللَّهُ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مَثِيلَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

فَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ لَا يَقْتَضِي التَّمَثِيلَ؛ فَإِنَّ التَّمَثِيلَ أَمْرٌ آخَرُ سِوَى إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمُشَبَّهُ الَّذِي يَقُولُ يَدٌ كَيْدِي، وَسَمْعٌ كَسَمْعِي، وَاللَّهُ يَقُولُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

فَالَّذِي يُثْبِتُ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ لَيْسَ بِمُشَبَّهِ، وَإِنَّمَا الْمُشَبَّهُ الَّذِي يُشَبَّهُ صِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ مُطَبِّقُونَ عَلَى ذِمِّ هَؤُلَاءِ الْمُشَبَّهَةِ، وَأَنَّ مَقَالَتَهُمْ مَقَالَهٌ كُفْرٍ وَضَلَالٍ.

وَالْمُعْطَلَةُ يَرْمُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالتَّشْبِيهِ؛ إِمَّا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مَقَالَهَ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَوْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ أَغْرَاضٍ سَيِّئَةٍ وَقُصُودٍ فَاسِدَةٍ.

تَعَالَى أَيُّ: عَنِ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ ارْتَفَعَ قَدْرُهُ، وَجَلَّ شَأْنُهُ، وَتَعَاضَمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَبِيهٌ أَوْ نَظِيرٌ، فَهُوَ يُنَزَّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ.

وَالْتَعَالَى: مِنَ الْعُلُوِّ وَهُوَ الرَّفْعَةُ، وَهُوَ ثَابِتٌ لِلَّهِ أَيُّ: الْعُلُوُّ ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرًا، فَلَهُ عُلُوُّ الذَّاتِ، وَلَهُ عُلُوُّ الْقَدْرِ وَلَهُ عُلُوُّ الْقَهْرِ، لَهُ عُلُوُّ الذَّاتِ وَلَهُ عُلُوُّ الصِّفَاتِ.

تَعَالَى الْمُسَبِّحُ: الْمُنَزَّهُ؛ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ فِي اللُّغَةِ التَّنْزِيهِ، وَهَذَا التَّسْبِيحُ عِبَادَةٌ مُقَرَّبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى؛ وَرَدَ الْأَمْرُ بِهَا فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، بَلْ جَاءَ التَّرْغِيبُ وَالْحَثُّ عَلَى الْإِكْتَارِ مِنَ التَّسْبِيحِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَرُتِّبَ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ الْأُجُورُ الْعَظِيمَةُ، وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالتَّسْبِيحُ كَلَامٌ حَبِيبٌ إِلَى الرَّحْمَنِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

وَتَسْبِيحُ اللَّهِ ﷻ يَكُونُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، الْمُعْطَلَّةُ يَفْهَمُونَ مِنَ التَّسْبِيحِ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الصِّفَاتِ؛ وَلِذَا يَقُولُونَ: سُبْحَانَ الْمُنَزَّهِ عَنِ الصِّفَاتِ!!

بَلْ بَعْضُهُمْ يَقُولُ مِنَ الْقَبْرِيَّةِ.. الصُّوفِيَّةِ يَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَانَا مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ!!

فَيَجْعَلُونَ التَّوْحِيدَ أَوْحَالًا!!

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: انظُرُوا إِلَى تَسْبِيحِ الْجَهْمِيَّةِ كَيْفَ أَدَّى بِهِمْ إِلَى التَّعْطِيلِ، فَهَذَا التَّسْبِيحُ أَدَّى بِهِمْ إِلَى هَذَا الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ.

لَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهَ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، وَإِنَّمَا يَجِبُ تَسْبِيحُ اللَّهِ عَمَّا جَاءَ بِهِ أَعْدَاءُ الْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ يُخَالِفُونَ الْمُرْسَلِينَ؛ لِذَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

يُرِيدُ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ الَّذِينَ وَصَفُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا لَا يَلِيقُ ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٨٠ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿[الصافات: ١٨٠ - ١٨١]، نَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ التَّشْبِيهَ وَالتَّعْطِيلَ، وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ فِي حَقِّ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِسَلَامَتِهِ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَبِينُ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي رُؤْيِيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَفِي الْجَنَّةِ، فَيَأْتِي بِالْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَالنَّاسُ فِي الرُّؤْيَةِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ: طَرَفَانِ وَوَسْطٌ، كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ.

الطَّرَفُ الْأَوَّلُ: غَلَوُ فِي نَفْيِ الرُّؤْيَةِ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ غَلَوْ فِي النَّفْيِ، فَاعْتَقَدُوا وَأَعْلَنُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ بِالنُّصُوصِ وَمَعَانِيهَا الصَّحِيحَةِ، وَهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِعُمُومَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَا تَصْلُحُ لَهُمْ دَلِيلًا كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. فَيَقُولُونَ: هَذَا نَفْيٌ لِلرُّؤْيَةِ، وَهَذَا خَطَأٌ، بَلْ فِيهِ إِثْبَاتُ الرُّؤْيَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: لَا

تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، قَالُوا: تُدْرِكُ بِمَعْنَى تَرَى، فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ عِنْدَهُمْ: لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ، وَهَذَا تَفْسِيرٌ بَاطِلٌ.

التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ مَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَنْ غَيْرِهِ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أَي: لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ؛ فَاللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، بَلْ هُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، أَي: عِلْمًا وَقُدْرَةً، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ الْإِحَاطَةِ فِي الرُّؤْيَةِ نَفْيِ الرُّؤْيَةِ، بَلِ الرُّؤْيَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ثَابِتَةٌ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَنْتَ تَقُولُ: أَنَا أَرَى السَّمَاءَ، وَلَا أُدْرِكُ السَّمَاءَ، يَعْنِي أَنْتَ لَا تُحِيطُ بِالسَّمَاءِ بَصَرًا وَلَا عِلْمًا، فَتَنْفِي الْإِدْرَاكَ لِلْسَّمَاءِ؛ وَنَفْيُ الْإِدْرَاكِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الرُّؤْيَةِ، فَأَنْتَ تَرَى السَّمَاءَ، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُ السَّمَاءَ، وَسَتَرَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُ اللَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَصَرِكَ، تَرَاهُ بِبَصَرِكَ وَلَا يُدْرِكُهُ بِبَصَرِكَ.

يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ.

الطَّرْفُ الثَّانِي: غَلَوُ فِي الْإِثْبَاتِ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ كَغُلَاةِ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ زُعَمَاءَهُمْ يَرَوْنَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَكَذَبُوا إِذْ لَمْ يَسْتَنِدُوا إِلَى بُرْهَانٍ، بَلْ إِلَى التَّخَرُّصِ وَالْهَذْيَانِ.

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْغَلَاةِ فِي نَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وَالْغَلَاةِ فِي
إثْبَاتِهَا عَلَى الْفَهْمِ الَّذِي مَرَّ، أَثْبَتُوا رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي عَرَصَاتِ
الْقِيَامَةِ، وَفِي الْجَنَّةِ، وَنَفَوْا رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَرُؤْيَةَ غَيْرِهِمْ عَنِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا؛
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، كَمَا مَرَّ فِي طَلَبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ.

فَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي دَارِ النِّعَمِ عَلَى اخْتِلَافٍ
مَنَازِلِهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ نَعِيمِهِمْ، وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا لَا مِنَ الرُّسُلِ، وَلَا مَنْ
هُوَ دُونَهُمْ، وَجَمِيعُ الْكَافِرِينَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَلْ هُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْهُ
بِأَدَلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ لِأَهْلِ السُّنَّةِ أَقْوَالَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا يُبَدَّعُ مَنْ
قَالَ بِأَحَدِ الْأَقْوَالِ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُبَدَّعُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَرَى
أَصْلًا، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

الْمُنَافِقُونَ نِفَاقًا اعْتِقَادِيًّا فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ، تَحْتَ الْكَافِرِينَ
يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَيَتَهَيَّئُونَ لِلْسُّجُودِ كَمَا
يَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ، فَتَعُودُ ظُهُورُهُمْ طَبَقًا وَاحِدًا لَا يَقْدِرُونَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى
ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢) خَشِيعَةً
أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ^ط وَكَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِمُونَ ﴿[القلم: ٤٢ - ٤٣].

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِأَبْصَارِهِمْ؛ لِذَلِكَ ذَكَرَ
الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الْبَيْتَ الَّذِي بَعْدَ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ فَقَالَ:
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ

وَالْإِنْسَانُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْإِثْيَانِ بِصَلَاةِ الْغَدَاةِ وَصَلَاةِ الْعِشِيِّ،
وَأَنْ يَسْعَى إِلَيْهِمَا مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَهُمَا بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ
لِرَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي بِكُمْ إِلَى هَذَا
النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ.

اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ.

الزِّيَادَةُ هُنَا: النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ، كَمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِي الْجَنَّةِ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ وَهُوَ رُؤْيَا اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] مِنَ النَّصْرَةِ وَهِيَ الْبَهْجَةُ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا
نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] بِأَبْصَارِهَا، النَّظَرُ إِذَا عُدِّيَ بِهِ (إِلَى) فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالْبَصَرِ،
وَإِذَا عُدِّيَ النَّظَرُ بِنَفْسِهِ (يَنْظُرُونَ) فَمَعْنَاهُ: التَّوَقُّفُ وَالِانْتِظَارُ، وَإِذَا عُدِّيَ بِهِ (فِي)
كَأَنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]
فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ. وَهَذَا مِنْ عَبَقَرِيَّةِ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَبْقَرِيَّةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا
كِتَابَهُ، وَنَطَقَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ بَيَانَهُ وَخِطَابَهُ.

التَّعَدِّيُّ وَاللُّزُومُ، وَاسْتِعْمَالُ حُرُوفِ الْجَرِّ مَعَ الْأَفْعَالِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَسْمَاءِ
أَيْضًا.

النَّظْرُ إِنَّ عُدِّيَ بِنَفْسِهِ فَمَعْنَاهُ: الْإِنْتَظَارُ، وَإِنْ عُدِّيَ بِ(فِي) فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ
وَالْإِعْتِبَارُ، وَإِنْ عُدِّيَ بِ(إِلَى) فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالْأَبْصَارِ.

هَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ: إِضَافَةُ النَّظْرِ إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، وَتَعْدِيَّتُهُ بِ(إِلَى) الصَّرِيحَةِ فِي نَظَرِ الْعَيْنِ، وَإِخْلَاءُ الْكَلَامِ مِنْ أَيِّ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ حَقِيقَتِهِ وَمَوْضُوعِهِ صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ بِذَلِكَ نَظَرَ الْعَيْنِ الَّتِي فِي الْوَجْهِ إِلَى الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ -.

الْآيَةُ الَّتِي مَعَنَا مُعَدَّاةٌ بِ(إِلَى): ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، فَهَذَا مُعَايَنَةٌ بِالْأَبْصَارِ.

وَكَمَا مَرَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، الْإِدْرَاكُ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ أَنْتَ تَرَى الشَّمْسَ وَتُبْصِرُهَا وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُهَا، يَعْنِي لَا تُحِيطُ بِهَا، فَلَا تُحِيطُ بِالْمَرْتَبَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَإِنَّمَا تَرَاهُ.

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُونَهُ، لَا يُدْرِكُونَ عَظَمَتَهُ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، وَأَنْتَ تَرَى الشَّمْسَ وَلَكِنْ لَا تُحِيطُ بِجُرْمِهَا وَحُدُودِهَا، وَهَذَا فِي الْمَخْلُوقِ فَكَيْفَ بِالْخَالِقِ الْعَظِيمِ؟

فَنَفْيُ الْإِدْرَاكِ سِوَى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ، بَلْ قَالُوا: إِنَّ نَفْيَ الْإِدْرَاكِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُرَى، وَلَكِنَّهُ لَا يُدْرِكُ يَعْنِي لَا يُحَاطُ بِهِ ﷻ، فَلَمَّا نَفَى الْإِدْرَاكَ أَثَبَتَ الرُّؤْيَةَ؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْإِدْرَاكِ يَدُلُّ عَلَى الرُّؤْيَةِ، يَدُلُّ عَلَى الْإِبْصَارِ، وَلَكِنْ يَنْفِي الْإِحَاطَةَ، وَكَذَلِكَ

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لَيْسَ مَعْنَاهُ النَّفْيُ الْمُؤَبَّدُ، بَلْ ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا؛ بِدَلِيلٍ أَنَّ الرُّؤْيَا ثَبَتَتْ فِي الْآخِرَةِ. أَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ كَلِمَةَ (لَنْ) لَيْسَتْ لِلنَّفْيِ الْمُؤَبَّدِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلنَّفْيِ الْمُؤَقَّتِ.

ابْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَهَا لِنَفْيِ التَّأْيِيدِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلنَّفْيِ مُؤَبَّدًا أَوْ مُؤَقَّتًا عَلَى حَسَبِ السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ.

قَوْلُ النَّازِمِ:

يَتَجَلَّى: يَظْهَرُ، ثُمَّ أَتَى بِمَعْنَى حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى أَيُّ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فِي تَمَامِ الْقَمَرِ لَا تَخْفَى عَلَيْكُمْ رُؤْيَا الْقَمَرِ، وَلَا تَشْتَبِهْهُ، وَلَا يَظْلِمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَتَضَامُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنْ أَجْلِ رُؤْيَايَتِهِ، وَلَكِنْ تَرَوْنَهُ جَمِيعًا رُؤْيَاً وَاضِحَةً، فَشَبَّهَ الرُّؤْيَا بِالرُّؤْيَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ.

وَعَقَّبَ بِالْبَيِّنَاتِ الَّذِي بَعْدَهُ؛ مِنْ أَجْلِ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا يُتَوَهَّمُ، وَلَيْسَ لَهُ شَبْهٌ أَيُّ: لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ يُطْلِقُونَ التَّشْبِيهَ، وَيُرِيدُونَ التَّمْثِيلَ، وَالتَّحْقِيقَ أَنَّ الْمُشَابَهَةَ غَيْرُ الْمُمَاثَلَةِ، الْمُمَاثَلَةُ تَقْتَضِي التَّسَاوِيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لِذَلِكَ نَفَى اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ عَنْ نَفْسِهِ مُمَاثَلَةَ خَلْقِهِ، وَلَمْ يَنْفِ مُشَابَهَتَهُمْ بِهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا أَتَى بِمَا هُوَ دَاخِلٌ فِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ التَّشْبِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

الْعَلَاقَةُ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ عِلَاقَةٌ عُمُومٍ وَخُصُوصٍ كُلُّ تَمَثِيلٍ تَشْبِيهٌ،
وَلَيْسَ كُلُّ تَشْبِيهِ تَمَثِيلًا.

الْمُشَابَهَةُ الْمُنْفِيَّةُ فِي حَقِّ اللَّهِ سِوَى الْمُشَابَهَةِ الْمُثَبَّتَةِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.

مَا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ؟

هُنَاكَ مَا يُقَالُ لَهُ أَصْلُ الصِّفَةِ، يَعْنِي: اللَّهُ ﷻ مَوْصُوفٌ بِالْعِلْمِ، وَوُصِفَ
بَعْضُ خَلْقِهِ بِالْعِلْمِ، وَمَوْصُوفٌ تَعَالَى بِالْحِلْمِ وَوُصِفَ بَعْضُ خَلْقِهِ بِالْحِلْمِ، اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَوْصُوفٌ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ، وَمِنْ خَلْقِهِ الْأَحْيَاءُ، فَالْحَيَاةُ صِفَةٌ، أَصْلُ
الصِّفَةِ تَكُونُ وَاحِدَةً فِي الْأَذْهَانِ، وَأَمَّا إِذَا مَا كَانَتْ فِي الْأَعْيَانِ فَإِنَّهَا تَكُونُ لِكُلِّ
عَيْنٍ عَلَى حَسَبِهَا؛ يَعْنِي: السَّمْعُ أَنْتَ تَفْهَمُهُ، وَلِذَلِكَ عِنْدَمَا يُقَالُ: وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ، فَأَنْتَ تَفْهَمُ السَّمْعَ عَلَى أَصْلِ الصِّفَةِ.

تَعْلَمُ مَعْنَى السَّمْعِ، وَتَعْلَمُ مَعْنَى الْبَصَرِ مُطْلَقًا مُجَرَّدًا فَيُقَالُ لَهُ: أَصْلُ الصِّفَةِ،
وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَكُونُ السَّمْعُ لِلَّهِ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ اللَّهِ، وَعِنْدَمَا يَكُونُ السَّمْعُ لِلْآدَمِيِّ
يَكُونُ عَلَى قَدْرِ الْآدَمِيِّ.

وَكَذَلِكَ صِفَةُ الْوُجُودِ: فَاللَّهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ لَهُ صِفَةُ الْوُجُودِ، وَالْمَوْجُودَاتُ
الْمَخْلُوقَاتُ أَيْضًا لَهَا صِفَةُ الْوُجُودِ، فَأَصْلُ الْوُجُودِ وَاحِدٌ عِنْدَ التَّجْرِيدِ فِي
الْأَذْهَانِ، وَإِنَّمَا عِنْدَ الْوُجُودِ فِي الْأَعْيَانِ يَكُونُ لِكُلِّ عَيْنٍ مَا يَخْتَصُّ بِهَا.

نَفْيُ الْوَلَدِ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ

فَالْوُجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى قَدْرِ ذَاتِهِ، وَالْوُجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى قَدْرِ ذَاتِهِ، فَنفَى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ الْوَلَدَ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَلَيْسَ بِمَوْلَدٍ، وَلَيْسَ بِوَالِدٍ
.....

فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْغَنِيُّ، وَمِنْ تَمَامِ غِنَاهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ الْوَلَدِ، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾ [البقرة: ١١٦].

فَالَّذِي يَتَمَنَّى الْوَلَدَ لِيَحْمِلَ اسْمَهُ، وَيَتَفَاخَرَ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ، هُوَ فَقِيرٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨]. فَالْغِنَى الْمُطْلَقُ لِلَّهِ، وَالْغِنَى الْمُطْلَقُ هُوَ اللَّهُ، وَمِنْ تَمَامِ غِنَاهُ تَفَرُّدُهُ جَلَّ وَعَلَا، وَوَرِيَّتُهُ إِنَّهُ الْوَرِثُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ.

نِسْبَةُ الْوَلَدِ إِلَيْهِ نَقْصٌ، نَقْصٌ فِي كَمَالِ غِنَاهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢].

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،

فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا.

فَهَذَا شَتْمٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذَا، عَنِ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ، قَالَ: وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ.

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحِ



جامعة

مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

الْقُرْآنُ مِنْ حَيْثُ الْمَقَاصِدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ

الْقُرْآنُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مِنْ حَيْثُ الْمَقَاصِدُ:

إِمَّا التَّوْحِيدُ: وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ.

وإِمَّا أَوْامِرُ وَنَوَاهٍ: هِيَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ.

وإِمَّا أَخْبَارٌ عَنِ الرُّسُلِ وَالْأُمَمِ، وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَعَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ خُلِصَتْ لِلْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَهِيَ فِي التَّوْحِيدِ؛ لِذَلِكَ صَارَتْ تَعْدُلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي الْفَضْلِ؛ لِأَنَّهَا اخْتَصَّتْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهَذَا وَجْهٌ تَسَمَّيْتُهَا بِسُورَةِ (الْإِخْلَاصِ).

وَفِيهَا نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ: نَفْيُ النَّقَائِصِ عَنِ اللَّهِ، وَإِثْبَاتُ الْكَمَالَاتِ لِلَّهِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: هَذَا إِثْبَاتٌ، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: هَذَا إِثْبَاتٌ، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوا أَحَدٌ ﴿[الإخلاص: ١-٤]: هَذَا نَفْيٌ، فَنفَى عَنْهُ النِّقْصَ، وَأَثْبَتَ لَهُ الْكَمَالَ.

قَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾: يَعْنِي هُوَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

فَهُوَ وَاحِدٌ فِي أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ، قَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: الَّذِي تَصَمَّدُ لَهُ الْخَلَائِقُ، وَتَطْلُبُ مِنْهُ حَوَائِجَهَا، وَالصَّمَدُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ، ثُمَّ نَفَى فَقَالَ: ﴿لَمْ يَكِدْ﴾: يَعْنِي لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، مُنْزَعٌ عَنِ الْوَلَدِ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الَّذِينَ أَثْبَتُوا الْوَلَدَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا كَالَّذِينَ قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَالَّذِينَ قَالُوا: عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ، وَالَّذِينَ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ - أَيْضًا - الَّذِينَ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، فَردَّ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﷻ، فَهَذَا نَفْيٌ لِلشَّرِيكِ وَالشَّيْبَةِ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ شَيْبَةٌ لِوَالِدِهِ وَشَرِيكٌ لَهُ، وَالْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْحَاجَةِ، وَاللَّهُ مُنْزَعٌ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوا أَحَدٌ ﷻ الْكُفُو هُوَ: الشَّيْبَةُ وَالْمِثِيلُ؛ فَاللَّهُ لَا شَيْبَةَ لَهُ، وَلَا مِثِيلَ لَهُ، لَا أَحَدَ يُكَافِئُهُ، أَوْ يُسَاوِيهِ أَوْ يُشَابِهُهُ، أَوْ يُمَازِلُهُ أَبَدًا، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ دَسْمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أَيُّ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا يُسَاوِيهِ سُبْحَانَهُ.

وَيُسَامِيهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَعْنَاهُ: لَا يَتَسَمَّى أَحَدٌ بِاسْمِهِ كَالْمَلِكِ وَالْعَزِيزِ.

فَقَوْلُ النَّاطِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ

.....

مَأْخُودٌ مِنْ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، وَفِيهَا إِثْبَاتُ الْأَحَدِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَنَفْيُ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ، وَنَفْيُ الْمُشَابَهَةِ وَالْمِثْلِيَّةِ لَهُ جَلَّ وَعَلَا، فَلَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ.

قَالَ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمُصَدَّقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحٌ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالٍ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

الْجَهْمِيُّ: الْأَلْفُ وَاللَّامُ هَاهُنَا لِلْجِنْسِ لَا لِلْعَهْدِ، يُرِيدُ كُلُّ مُعْطَلٍ لِلصِّفَاتِ،
فَلَفْظُ الْجَهْمِيِّ صَارَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَفَى الصِّفَاتِ كُلَّهَا أَوْ بَعْضَهَا كَالْمُعْتَرِ لَةِ،
وَالْكَلَابِيَّةِ وَالْأَشَاعِرَةِ، وَالْمَأْتُورِيَّةِ إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْفَرَقِ.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا: (هَذَا) إِشَارَةٌ لِلْقَرِيبِ، يَقْصِدُ بِهِ كُلُّ مَا مَرَّ مِنْ
مَبَاحِثِ الْإِعْتِقَادِ مِنْ إِبْثَاتِ صِفَةِ الْكَلَامِ وَالرُّؤْيَةِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: مَسْأَلَةُ الرُّؤْيَةِ.
وَعِنْدَنَا: عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

بِمُصَدَّقٍ أَيْ: بِمُوَافَقَةٍ وَمُوَاطَّئَةٍ. يُصَدِّقُهُ، وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثٌ مُصَرِّحٌ.
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالٍ مُحَمَّدٍ:

جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَسْلَمَ بَعْدَ نَزُولِ سُورَةِ
(الْمَائِدَةِ)، وَرَوَى حَدِيثَ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ.

وَالْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ جَرِيرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:
«كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا
تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِيهِ - وَلَا تُضَامُونَ فِيهِ -» الْحَدِيثَ.

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ: أَيُّ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ قُلْ مُعْتَقِدًا بِمَا تَقُولُ مِثْلَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ.

فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ أَيُّ: فِي مَسْأَلَةِ الرُّؤْيَةِ، فَالْحَدِيثُ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْيَبَانَ، فَقُلْ مِثْلَمَا قَالَ نَبِيِّكَ؛ فَهُوَ أَعْرَفُ بِرَبِّهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ مُعْتَقِدًا ذَلِكَ كُنْتَ مِنَ النَّاجِحِينَ الْفَائِزِينَ.



جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ ﷺ

www.menhag-un.com

إِنْكَارُ الْجَهْمِيَّةِ لِرُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ

فَأَرَادَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يُوقِنَنَا عَلَى مَقَالَةِ الْمُخَالِفِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الرُّؤْيَا؛ فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ بِجَمِيعِ طَوَائِفِهَا تُنْكِرُ رُؤْيَا الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ لِشُبُهَاتٍ عَقْلِيَّةٍ، وَلِسُوءِ فَهْمِهِمْ لآيَاتِ كِتَابِ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُتَشَابِهَةِ. فِكُلُّ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ: (قَدْ) عِنْدَمَا تَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فَإِنَّ لَهَا أَحْوَالَ عَلَى حَسَبِ السِّيَاقِ: أحيانًا تَكُونُ (قَدْ) إِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ لِلتَّقْلِيلِ، وَأحيانًا لِلتَّكْثِيرِ، وَأحيانًا لِلتَّحْقِيقِ وَالتَّأْكِيدِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، فَالْمُرَادُ فِي اسْتِخْدَامِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ التَّحْقِيقُ وَالتَّأْكِيدُ.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ فَيَقُولُ: حَقِيقَةُ مَقَالَةِ الْجَهْمِيَّةِ إِنْكَارُ حَقِيقَةِ رُؤْيَا اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِذَلِكَ يَقُولُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَا فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَالْجَهْمِيُّ الَّذِي يَتَأَثَّرُ بِالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ هُوَ شَيْخُ الطَّرِيقَةِ وَأُسْتَاذُ الْقَوْمِ.

يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا يَعْنِي: رُؤْيَا اللَّهِ ﷻ، وَأَمَّا نَحْنُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَعِنْدَنَا حَدِيثٌ بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا، وَهُوَ حَدِيثٌ مُصَرِّحٌ بِمَا قُلْنَاهُ، وَهُوَ ثَابِتٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الْحَدِيثُ فِي الرُّوْيَةِ مُصَحَّحٌ مِنْ قَبْلِ الْأَئِمَّةِ، بَلْ هُوَ مُتَوَاتِرٌ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَصَحِّ الْأَحَادِيثِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْمُتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ، الْمُجْمَعُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِالْحَدِيثِ وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ». وَمُصَرِّحٌ بِإثْبَاتِ الرُّوْيَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَلَمْ يَبْقَ لِمُبْطِلٍ مُتَعَلِّقٌ.

ذَكَرَ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدِيثَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَعَاكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ السُّنِّيُّ إِلَى أَنْ تَقُولَ مِثْلَ مَا قَالَ النَّبِيُّ، وَهَلْ يَسْعُكَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ بِمِثْلِ مَا قَالَ نَبِيُّكَ ﷺ؟

فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ جَانَبْتَ النِّجَاحَ، وَقَارَفْتَ الطَّلَاحَ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ -.

الْأَدِلَّةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى رُوْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَثِيرَةٌ جِدًّا، مِنْهَا حَدِيثُ جَرِيرٍ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمِنْهَا سِوَاهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي بَلَغَتْ رُتَبَةَ التَّوَاتُرِ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِيمَا مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَأَمَّا الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الرُّوْيَةَ فَهُمْ الْجَهْمِيَّةُ، وَكُلُّ مَنْ قَالَ بِقَوْلِ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ فِي مَسْأَلَةِ الصِّفَاتِ، أَوْ قَارَبَهُ أَوْ شَابَهَهُ فَهُوَ جَهْمِيٌّ؛ لِذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ مَنْ نَفَى الرُّوْيَةَ فَهُوَ جَهْمِيٌّ».

يَعْنِي لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ أَصُولُ الْجَهَمِ كَامِلَةً، وَلَكِنْ بِمُجَرَّدِ نَفْيِ
رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْآخِرَةِ يَكُونُ جَهَمِيًّا.



مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com